

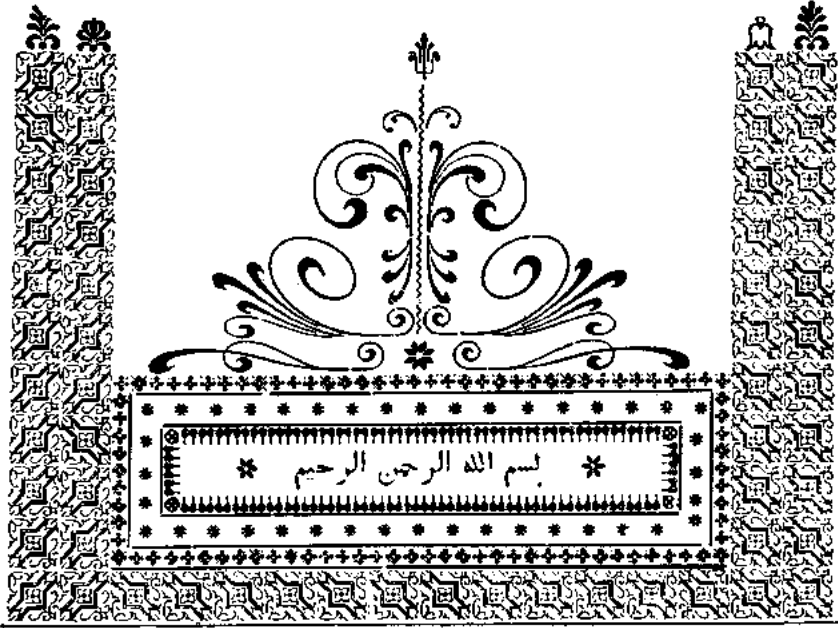
كتاب
الذخيرة المسئلة
على حديث جنزلة

نألف

الفاضل الزكي العالم العامل القدوة المخبر
الشيخ السيد محمد بن خليفة
المشهور بالمداني الفصيح المديوني
كان الله له أمين

الطبعة الثانية
1404 هـ . 1984 م

حقوق الطبع محفوظة لابن المؤلف
السيد محمد منور المدني



الحمد لله العظيم ، الذي وسعت رحمته الاشيا . والصلاة والسلام على من بلغوا من المؤمنين رؤوف رحيم . وعلى آله واصحابه الطاهرين الاتقيا . اما بعد فمن كاتبه الفقير الفاني . العبد الضعيف محمد المشهور بالمديني . الى الصفوة الكريمة . ذي القلب السليم . الحبل الودود الذي تخلت خلته ضميري . العلامة الافضل الشيخ سيدي محمد السخيري المنستيري . ثبتنا الله واياكم على الصراط المستقيم . وسقانا سلسيلا من فيضه العظيم . وعليكم اتم سلام واكملة . واجل احترام وافضله . هذا ايها الافضل واني قد كتبت ما اقترحتموه على هذا العبد لحسن ظنكم فيه من شرح حديث حفصة الاسيدي رضي الله عنه الذي نصه بحروفه كما رواه الامام البغوي في كتابه « مصابيح السنة » (عن حفصة الاسيدي انه قال انطلقت انا وابوبكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نافع حفصة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وما ذاك » قلت نكوت عندك تذكرنا بالنار والجنة كانا رأينا عين فاذا خرجنا عافسنا الازواج والاولاد والضيعات نسينا كثيرا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي

وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حضلة ساعة وساعة » ثلاث مرات . ورواه ولي الله تعالى المحدث الحجة سيدي احمد الدهلوي في كتابه المسمى حجة الله البالغة بتفصيل زائد على ما رواه البغوي ونصه بحروفه . عن حضلة ابن الربيع الاسيدي قال لقيني ابوبكر فقال كيف انت يا حضلة . قلت نافق حضلة . قال سبحان الله ما تقول قلت نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالجنة والنار كانا راى عين فاذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا قال ابوبكر فوالله اننا لللقى مثل هذا فانطلقت انا وابو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نافق حضلة يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كانا راى عين فاذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذئب الذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حضلة ساعة وساعة ثلاث مرات . وقد اقتصر في الشرح على الرواية الاولى التي في مصابيح السنة وشرحته حسبما اقتضاه فهمي الكلبي . وعليه القليل . فان قررت به عينكم فلما مئة الجميل الجليل . وإلا فعلى القائل دية القتل والله حسي وهو نعم الوكيل . وسميته (الحضلة المرسلة على حديث حضلة) اقول مستعينا بالله . ان حضلة رضي الله عنه قد ترجمه الامام قاضي القضاة شهاب الدين الكنجاني العسقلاني المعروف بابن حجر في كتابه « الاصابة في تمييز الصحابة » فقال حضلة بن الربيع بن صفي بن رباح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية بن شريف بن جرود بن اسيد بن عمرو بن تميم ابو ربيعة ويقال له حضلة الكاتب وهو ابن اخي اكثم بن صفي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وكتب له وارسله الى اهل الطائف فيما ذكر ابن اسحاق وشهد القادية ونزل الكوفة وتخلف عن علي يوم الجمل ونزل قرقيساء حتى مات في خلافة معاوية ويقال ان الجن لما مات رثته وفي موته تقول امرأة من ابيات

ان سواد العين اودى به حزني على حضلة الكاتب

وفي الترمذي من طريق أبي عثمان النهدي عن حفصة وكان من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم . روى عنه ابو عثمان النهدي وابن اخيه المرقع بن صبي بن رياح بن الربيع وغيرهما . والاسيدي بالتشديد نسبة الى جدة اسيد بن عمرو بن تميم . واما شرح الحديث فقول حفصة رضي الله عنه (قفلت نافق حفصة) لم يرد به اسناد النفاق اليه حقيقة اذ النفاق حقيقة اخفاء الكفر واطهار الايمان وحاشا حفصة ان ينزل الى هذا الحضيض انما مقصده بهاته الجملة التشكي الى النبي صلى الله عليه وسلم من حاله وما يصيبه وغيره من النسيان وقلة الحضور عند مفارقة نور الوجود صلى الله عليه وسلم ومعانسة القواطع الدنيوية من الازواج والاولاد والاموال فعبث عن ذلك بالنفاق واسنده لنفسه لان النسيان والغفلة من لوازم النفاق والكفران . وتعام الحضور مع الله في اي حال من الاحوال من لوازم الدين والانقياد لله عز وجل . فمن انقاد الله تعالى بظاهرة واطاعه بجوارحه وعمل بما امره واجتنب ما نهاه عنه فهو المسلم . ومن انقاد الله بقلبه واطمأن للايمان به وبما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم فهو المؤمن . ومن خضع لمعبودة بسره وحضر معه بباطنه وكان حضوره عاما في جميع احواله من عبادة وغيرها من جميع الحركات والسكنات فهو المحسن فان الاحسان هو الحضور مع الله تعالى في جميع الاحوال وتخصيص العبادة في الحديث المشهور الذي آخره « ان تعبد الله كأنك تراه » لانها اشرف احوال العبد فالتحريض على الحضور فيها اولى بان يعتنى به . فالدين هو انقياد العبد لمعبودة بظاهرة المسمى بالاسلام وبباطنه المسمى بالايمان وسره المسمى بالاحسان . والنفاق عدم الانقياد لله بشيء من ذلك وان اظهر الانقياد بجوارحه فان ذلك انقياد للخلق لا للخالق فهو ليس بانقياد لله . فاذا اخذ المتدين في الغفلة وعدم الانقياد لله عز وجل بسره بسبب عدم حضوره مع الله في جميع احواله فقد اخذ في اسباب النفاق . لذلك اسند حفصة رضي الله عنه النفاق لنفسه فهو مجاز مرسل من اطلاق المسبب الذي هو النفاق وارادة السبب الذي هو الغفلة لان الغفلة وعدم الحضور والانقياد لله بالسبب في النفاق تعود بالله تعالى وليس مقصد حفصة رضي الله عنه اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه اتصف بالنفاق حقيقة انما مقصده التشكي لرسول الله صلى الله عليه وسلم واطهار التحزن

والتحسر على ما يطرا على قلبه من الغفلة وعدم الحضور كما قلناه . وهو رضي الله عنه قد استهض رسول الله صلى الله عليه وسلم لانتفاضة ما حل به واصابه باسناة النفاق لنفسه خوف ان يسري داء الغفلة الى بقية دينه كما يسري الداء من احد الاعضاء الى سائر الجسد . وهذا شان المريض الحريص على الشفاء في تهويل الداء بالبلغ وصف لطيبه . كيف لا وهو صلى الله عليه وسلم طبيب القلوب والارواح التي هي اعز واغلى وارفع واعلى من ان يشتغل بغيرها . فهو الحقيق بالتشكي له . فان كان مريض الجسد يسعى لشفائه بكل ما في وسعه فاولى عليل الروح مريض القلب يسعى بما عنده لنفعه . وكثيرا ما كان استاذنا سيدنا ومولانا احمد العلاوي المستغامي رضي الله عنه يتمثل بهذين البيتين

ياخادم الجسم كم تشقى لخدمته * وتطلب الربح مما فيه خسران
عليك بالروح فاستكمل فضائلها * فانت بالروح لا بالجسم انسان

ثم اقول ان هذا الحديث وغيره من الاحاديث المشتملة على تشكي الصحابة رضوان الله عليهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يطرا عليه من الغفلة ومرض القلوب هو مستند القوم رضوان الله عليهم في تشكي مرئديهم لمشائخهم مما يصيبهم من التكاثر في العمل والانحراف عن جادة الاستقامة لكي يكون الاستاذ علما بامراض مرئديه فيتسنى له مداواتهم باقرب الطرق اليهم واسهلها عليهم فان الطيب لا ياخذ في المداوات إلا بعد تشخيص الداء من المريض فهذا المعنى واحد في مرض الاشباح والارواح ولا ينبغي للمريد ان يخفي شيئا عن استاذة وإلا زاد طينه بلة ومرضه علة ولذلك عدوا اخفاء المرئد شيئا عن شيخه من عدم الصدق وفي هذا المعنى يقول ابن البنا السرقسطي في المباحث الاصلية

فليس عند القوم بالسبب من لم يصف شكواك للطبيب

وحكايتهم رضي الله عنهم في القائم لمشائخهم كل ما يرد عليهم كثيرة وما ذلك إلا لاصلاح قلوبهم رضي الله عنهم والذي يظهر من حنضلة رضي الله عنه حسبما يلوح من هذا الحديث ان حضوره كان كثيرا مع الجنة ونعيمها والنار وجحيمها راجيا للاولى فارا من الثانية لانه لما ساله النبي صلى الله عليه وسلم بقوله «وما ذاك» اجابه بقوله (قلت نكون

عندك تذكرنا بالنار والجنة كانا راى عين) اي اننا نكون عندك في مجلسك تذكرنا بالجنة ونعيمها وتامرنا بما تال به من العمل الصالح كله من فرائض ونوافل . وتذكرنا بالنار وجحيمها وتنهانا عما يدخلها من المخالفات والردائل . حتى اننا من شدة حضورنا مع الجنة والنار كانا نراهما راى العين . وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر اصحابه في هذا المعنى وغيره ويؤثر فيهم تأثيرا بليغا تقتضيه مرتبة الرسالة حتى انهم يغيبون عن هاته الدنيا الفانية وعالمها الخيالي ويشخصون مع العالم الابدي رغبة في دار النعيم ، ورهبة من دار الجحيم . ومن ذلك انه ذكرهم مرة ووعظهم موعظة بليغة حتى ابكاهم فعزم عشرة منهم على سكنى الجبال ولبس المسوح وتحريم جميع الطيبات من الماكل والملبس فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم ونزل في حقهم قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم » الآية ومن هؤلاء العشرة ابو بكر وعلي وعثمان بن مضعون وحكايتهم طويلة . وما فعلوا ذلك إلا لانهم عزفت نفوسهم عن هاته الدنيا دار الفناء والغرور فاستوى ذهبها ومدرها بسبب موعظة وتذكير رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم . وقد سالنا بعضهم عن هاته الآفة فجعلنا عليها شرحا مستقلا . ثم اننا لم نتحقق هل ان حفصة رضي الله عنه هذا هو مقامه ودرجته التي من الله بها عليه بمعنى انه ممن يطمع في الجنة ويرهب من النار . ام هو عارض حال طرأ عليه كما يطرأ على غيره ممن تجلى الله عليهم فاشخصهم معه فلا يلتفتون الى غيره من الكائنات . غائبين عما سواه من المخلوقات . فان مثل هذا يتوقف على النقل وما وصلنا شيء من ذلك ولا اطلعنا على شيء من كلامه ، حتى نحكم على مقامه الأما يقتضيه مقام الصحبة فان الصحابة رضي الله عنهم كلهم في المقام الارفع والدرجة العالية وقولنا ام هو عارض حال طرأ عليه كما يطرأ على غيره الخ ، بيانه ان من الناس من منحه الحق مقام الحضور معه فتراه راسخا فيه لا يخطر بباله غيره إلا اذا كان وارد يمر على قلبه تقتضيه التكليف الشرعية وهؤلاء هم اهل التوحيد الذين لا يشركون بالله شيئا في جميع حركاتهم وسكناتهم وانما لهم ووجودهم انما حضورهم مع الحق تعالى فليس لهم مقصد سواه وهذا هو مقامهم الراسخون فيه وان مر عليهم طمع في الجنة او رهب من النار فذلك وارد رحمانى ورد على قلوبهم تقتضيه التكليف الشرعية كما قلنا . وعلى هذا المقام طائفة من اهل الله يقول قائمهم :

ليس لي في الجنان والنار رأي انا لا ابتغي بربي بديلا
 قد تخللت مسنك الروح مني ولذا سمي الحليل خليلا
 ومن ذلك قول الامام الشافعي رضي الله عنه ، اما والله لولم يوقن محمد ابن
 ادريس بانه يرى ربه لما عبده في الدنيا . ما قال ذلك الا لانه لم يقصد غير الله ولم
 يحضر في قلبه سواه . وقد نقل الامام الغزالي رضي الله عنه في كتابه « المرشد
 الامين » في باب الشوق ان داود عليه السلام سال ربه عن اهل محبته فقال له
 ائت جبل لبنان فان به اربعة عشر واقربهم مني السلام وقل لهم ان يسألوني اعطهم
 وان يدعوني استجب لهم او كلاما هذا معناه فلما بلغهم داود رسالة ربهم اجاب
 كل منهم على قدر مقامه فقال شيخهم . سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو
 عبيدك فاغفر لنا ما قطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من عمرنا . وقال الآخر .
 سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك فامنن علينا بالنظر فيما بيننا وبينك .
 وقال الاخر . سبحانك سبحانك نحن عبيدك وبنو عبيدك افجتريء على الدعاء
 وقد علمت انه لا حاجة لنا في شيء من امورنا فادم لنا لزوم الطريق اليك واتم تلك
 النعمة علينا . وقال الآخر من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكير في عظمتك
 افجتريء على الكلام من هو مشغول بعظمتك متفكر في جلالك وطلبتنا الدنو
 من نورك . وقال الاخر . كنت الالسنه عن دعائك لعظم شانك وقربك من اوليائك
 وكثرة منتك على اهل محبتك . وقال الآخر قد عرفت حاجتنا انما هي النظر
 لوجهك الكريم . وقال الآخر . لا حاجة لنا بشيء من خلقك فامنن علينا بالنظر
 الى وجهك الكريم . وقال الآخر . اسالك من بينهم ان تعمي عيني عن النظر
 الى الدنيا واهلها وقلبي عن الاشتغال بالآخرة . وقال الآخر قد عرفت انك
 تباركت وتعاليت تحب اوليائك فامنن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء
 سواك . فاوحى الله الى داود عليه السلام . قل لهم قد سمعت كلامكم واحببتكم
 الى ما احبتم فليفارق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سربا فاني كاشف
 الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا الى نوري وجمالي . وانت ترى مقامهم
 الراسخين فيه انما هو حضورهم مع مولاهم وغيبتهم عن كل ما يشغلهم عنه وعباراتهم

في هذا المعنى تقرب من بعضها ، ومن حضور بعض العارفين مع الله تعالى عند ما قيل له ان فلانا يقيم على الله الف دليل ، فقال متى غاب حتى يقام عليه الدليل . ومن ذلك قول ابن عطاء الله في حكمه ، كيف يتصور ان يحجبه شيء وهو الظاهر بكل شيء ، كيف يتصور ان يحجبه شيء ، وهو الظاهر في كل شيء ، وقول بعضهم وفي كل شيء له آية تدل على انه الواحد

ولاين الفارض في مقام الحضور يخاطب الحضرة الالهية

ولو خطرت لي في سواك ارادة على خاطري يوما قضيت بردي

وفي هذا المقام قال ابراهيم خبيريل عليهما السلام . عليه بحالي يعني عن سؤالي . لما قال له ادع ربك . وقال له قبل ذلك . اما اليك فلا . لما قال له الك حاجة . ومن حضور سيد الوجود صلى الله عليه وسلم انه لم يضرب خادما بل لم يسبه فقد حكى انس ابن مالك رضي الله عنه انه قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين ما قال لي في شيء تركته لم تركته او في شيء فعلته لم فعلته انما يقول لو شاء الله كان او لو لم يشاء لم يكن وفي هذا المقام الذي هو مقام الحضور مع الله يستغرق كثير ممن افناه التوحيد فتراه يلجج بما ذاقه من اسرار كقول ابي مدين رضي الله عنه

الله قل وذر الوجود وما حوى ان كنت مر تادا بلوغ كمال
فالكل دون الله ان حقيقته عدم على التفصيل والاجمال

وقول سيدي علي وفارضي الله عنه

سبرت العلم تفصيلا وجملة وطفت الكون بالتحقيق كله

فما وجدت غير الله شيئا تجلى دون معلول وعلو

وكقول بعضهم . لا موجود إلا الله . فيظن المسيء انهم ينفون وجود التكليف المتقضي للرسالة والرسول والمرسل اليهم ولقريبي الجنة والسعير . وحاشا ان نعتقد في اسلافنا رجال الدين سواء انما حضورهم مع مولا هم ومحبتهم فيه ومحبتهم فيه حتى كان لهم سمعا وبصرا وبدا ورجلا هو الذي غيبهم عما سواه ودعاهم للترنم بمثل هاته المواجيد . ولكنهم مع ذلك تراهم سالكين منهج التنسك والقيام بالمفروضات والمسئونات بل هم اشد حرصا وتمسكا بالعمل من غيرهم وعلمهم فيما شاهدوا ويحكى التاريخ

عنهم اعدل شاهد . هاته طائفة في هذا المقام وهو ارفع واعلى واعز واغلى . وطائفة
 من الناس دون ذلك من الله عليهم فاشخصهم مع صفاته واسمائه من الانعام والتكرم
 تارة والغضب والعقاب اخري فتراهم يرغبون في النعم وما اعد الله لاهله من الخور
 والقصور والفرش المرفوعة والزرايى المبتوثة . ويرهبون من عذاب السعير وما اعد
 الله لاهله من طبقات العذاب وسوء الحساب ويشدد حضورهم كأنهم برونهما راى
 العين . والمرشد اذا قام بين هؤلاء بتذكيرة ووعظه ترى غالب ارشاده في مثل
 هذا المعنى من الترغيب في الجنة والحث على العمل . واكتساب الفضائل . والترهيب
 من النار والنهي عن الزلل . واجتناب الرذائل . لان ذلك ما يقتضيه مقامهم الراسخون
 فيه . واذا خرج بهم في تذكيرة الى ما يقتضيه المقام الاول من الحضور مع الله
 اضرهم وخلط عليهم وقتهم ولذلك لما قال بعض الصحابة لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم هل احدث بكل ما اسمع منك يا رسول الله ؟ فقال له إلا بحديث لم يبلغ
 عقول القوم فيكون على بعضهم فتنة . إلا اذا كان المرشد ماهرا في اسلوب التذكير
 فانه ينقل المرید من حال الى حال ومن مقام الى آخر فالمرشدون لهم تأثير غريب
 في بواطن مریدهم يرفعونهم من حضيض المعصية الى مستوى الطاعة الى الرفيق الاعلى
 من الحضور مع المعبود جل جلاله وتقدس كماله . هذا حال الناس واتقسامهم الى
 هذين القسمين واما القسم الثالث وهو الذي نزل الى الدرك الاسفل من التلبس
 بالمعصية ومخالفة الامر والنهي . فلا كلام عليه انما نسال الباري تعالى ان ياخذ بيده
 ويهديه الى الصراط المستقيم . ويتوب عليه وهو التواب الرحيم . اذا علمت هذا كله اقول
 ان حنضلة رضي الله عنه كان مقامه الراسخ فيه انما هو الحضور مع الله وحضوره مع الجنة
 والنار على ما في هذا الحديث اقتضاه الحال في ذلك الزمان وهو الحال الافضل والمقام
 الاكمل والله اعلم بما وراء ذلك . وفضيلة الصحبة له على كل حال فانه من افضل
 القرون رضي الله عنه وعن جميع الاصحاب الذين بذلوا نفوسهم لله يتفقون فضلا من الله
 وقوله (فاذا خرجنا من عندك عافسنا الازواج والاولاد والضيعات نسينا كثيرا)
 الضيعات جمع ضيعة ولها في اللغة معان منها الارض المغلة ومنها حرقه الرجل وصناعته
 يقال كانت ضيعة العرب سياسة الإبل فيحتمل ان حنضلة كانت له ارض مغلة يخالطها

للتعمش ويحتمل انه كانت له صناعة وحرقة ويحتملها معا والمعنى فاذا خرجنا من عندك على ما نحن عليه من تمام الحضور خالطنا الأزواج والاولاد والضيعات نسينا كثيرا مما ذكرتنا به وغفلنا عما كنا عليه عندك من تمام الحضور ، ولم ينف اصل الحضور فان الاصحاب كلهم مقامهم اجل واعلى من ذلك انما اثبت النسيان كثيرا فقط ، وبالضرورة ان من جالس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمتع بالنظر في وجه الشريف وسمع كلامه الموحى به اليه فانه لا ينطق عن الهوى كان في غاية الحضور مع ما تقتضيه الموعظة والمذاكرة فان كانت في التوحيد كان حضوره معه وان كانت في الثواب والعقاب فكذلك ، وهكذا يحصل للصحابة عليهم تمام الرضا والرضوان ما يحصل لخصلة رضي الله عنه من تمام الحضور عند المتول بين يديه صلى الله عليه وسلم ومشاهدة ذاته الشريفة والعفلة عند مفارقتها ومن ذلك ما رواه الترمذي عن انس انه قال . ما تقضنا ايدينا من التراب وانا لني دفنه حتى انكرنا قلوبنا . ذكره في الانوار المحمدية . وهذا المعنى كثيرا ما يحصل للبريدين مع اشياخهم فتراهم في غاية اللين ورقة القلب وصفاء الباطن والميل الى الطاعة وقوة الحضور مع الله اذا كانوا حاضرين بين يدي اشياخهم فان المشائخ ورثة الرسل عليهم الصلاة والسلام في اقوالهم وافعالهم واحوالهم والحديث يشير الى ذلك « العلياء ورائة الانبياء » وبشهد لهذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم لبعض اصحابه لما سالوه من نجالس يا رسول الله قال « جالسوا من تذكركم بالله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه ويرغبكم في الآخرة عمله » فقد امر صلى الله عليه وسلم بمجالسة من رؤيته تذكركم بالله فعلم منه ان من الرجال من مجرد رؤيته تذكركم بالله تعالى وتحصل الحضور لمن جالسه واذا لم تكن هاته الخصلة في مشائخ الترية والترقية ففيمن تكون ؟ ويؤيد هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم « افضلكم من اذا ربي ذكر الله لرؤيته » فالخاص ان الجلوس بين يديه صلى الله عليه وسلم تحفه انوار وتكتفه اسرار تكسب الانسان اتمام الحضور وعدم النسيان والعفلة ومن فارقه ولو لم يخالط شيئا من القواطع الدنيوية نقص حضوره لفقدان النظر لوجه الشريف وسمع كلامه الموحى به اليه الذي له تاثير وسلطان على الضمير فاذا زاد على ذلك مخالطة اي شيء من الاشياء الفانية . زاد حضوره

نقصا وغفلة وخصوصا مخالطة زينة الحياة الدنيا ومناها كالزوجات والبنين والاموال
 فانه يزداد نسيانه كثيرا لان هاته الاشياء اغني الزوجات والاولاد والاموال فنسى
 للانسان ثقته في دينه لتعلق قلبه بها بشهادة القرآن قال في الارواح والاولاد : يا ايها
 الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم . وقد اختلف في سبب
 نزولها على روايتين . الاولى عن ابن عباس قال هؤلاء رجال امروا من اجل مكة
 وازادوا ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فابى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم ان
 ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فزلت هذه الآية فلما كرهه واوالمسلمين ان ياتوا في الدين
 فمروا ان يعاقبوهم . ابي عبد الله عليه السلام انهم يصومهم عن الفرجة فترك قوله النبي
 « وان تعفوا وصفحوا رفقوا فان الله عظيم رحيم » وقال عطية بن سفيان مات
 في عوف بن مالك الاشجعي وكان ذا فضل ودين فاما الزنا فليس يعزى كقول الله
 ويرفقوه وقالوا اني من اجسادنا فسر في سببها فليس يعزى كقول الله عز وجل
 اطازون في تفسيره . وروى عن ابي كليب بن ابي سعيد عن ابي ابراهيم عن ابي عبد
 عن العيام بما هي مشغوب مع سيد الوصيا علي بن ابي طالب عليه السلام في قوله
 ولما كانت عصر الايام جمعة لانها تسمى في القيام من اجاد من تيممها في الايام
 الاولاد . وروى في قوله النبي صلى الله عليه وسلم ان من امره ان يترك من امره
 لكم ما فعل النبي في قوله الاموال والاولاد عدوا لكم فتركوا من امره في قوله
 وسعد بن الاحمر والبريد فمروا في قوله اعطوا نسوة ثلثه لامرأتين في
 المطاوعة ، حدثني مالك عن عبد الله بن ابي بكر ان ابا عبد الله عليه السلام كان
 يصلي في صلاة الفجر يسي فطلق يده عن العنق فارتد فاحده وان كان في صلاة
 بعد صلاة شرجع في صلاة فانه يتركها عن العنق فارتد فاحده وان كان في صلاة
 في ملى هذا سنة حقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله صلى الله عليه وسلم
 حائضه من صلاة وعاديا رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاة وعاديا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 مالك عن سيد الله بن ابي بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي في صلاة
 واد من اودية مطربة في زمان الشعر والحمار فداه الله في مصرفة بيته ما يخصه اثر
 فاعجب ما راى من شعرها ثم رجع الى صلاته فاذا هو لم يشرك من فقال لقد

اصابني في مالي هذا فتنة فجاء عثمان بن عفان وهو يومئذ خليفة فذكر له ذلك وقال هو صدقة فاجعله في سبل الخير فباعه عثمان بن عفان بخمسين الفاقسمي ذلك المال الخمسين اهـ. فانت ترى في هذين الحديثين ما اصاب هذين الانصاريين من الفتنة في صلاتهما بسبب ما لهما ولكن انظر ببصر الايمان كيف كان اهل الصدر الاول يداوون مرض قلوبهم ويدفعون عنها الغفلة وعدم الحضور في معاملتهم مع معبودهم جل وعلا فلا يرضى الرجل منهم اذا سها عن ركعة من صلاته بعد تركها وفعلا ما يجب شرعا إلا ان يستهلك ما كان سببا في غفلة بانفاقه في سبل الخير رضي الله عنهم . ومن فتنة الاولاد ما حكاه الحازن في تفسيره ونصه . عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا تجاه الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال . صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما اهـ . فالزوج والولد والمال عدوة للانسان وفتنة له في دينه ومعاملته مع معبوده . ولذلك اشتكى حفصة رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . فاذا خرجنا عافسنا الازواج والاولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم . والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لاصفحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرفكم « قوله والذي نفسي بيده يعين منه صلى الله عليه وسلم يؤكد به الخبر لحنفلة تشبها لقلبه فنزله منزلة المتردد في الخبر ولو كان خالي الذهن لما اكد له ذلك للقاعدة المشهورة عند علماء المعاني المشار لها بقول الشيخ الاخضري في الجوهر المكنون

فيخبر الحالي بلا توكيد ما لم يكن في الحكم ذا ترديد

وقوله لو تدومون على ما تكونون عندي يعني من تمام الحضور وعدم الغفلة ورقة القلب لصرت من الملا الاعلى ارواحا مجردة لا حجاب عليهما يمنعا من الكشف عن العوالم الغيبية كعالم الملائكة الذين هم اجسام نورانية بل انهم يكونون اشد رغبة واشتياقا لكم فيسمعون لاصفحتكم تبركا بكم سمي الفاضل للافضل اذ خاصة

المؤمنين افضل من عامة الملائكة واذا دام الانسان على ما كان عليه بين يدي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم صار من الخاصة فيصافحه الملائكة تبركا به على قرشه وفي طريقه وقوله وفي الذكر . معطوف على ما قبله والمعنى لو تدمون على ما تكونون عليه في الذكر من تمام الحضور والطمئنان القلب لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ايضا . وانظر ما هو المراد بالذكر هل هو الصلاة فانها تسمى ذكرا ومنه قوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله » اي عن الصلوات الخمس كما في الحازن ، او المراد به الذكر المعروف وهو تكرير اسمائه تعالى وتريد كلمة الاخلاص ومنه قوله تعالى « فاذكروني اذكرتم » وقوله في بعض كلامه . انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت منه باعاً وان اتاني يمشي اتيته هرولة . والاولى والاحسن تعميم الذكر في الحديث وحمله على ما هو اعم فان الذاكر يحصل له الحضور وتندفع عنه الغفلة في الذكر وفي الصلاة وفي تلاوة القرآن وفي جميع انواع الذكر يدل على ذلك قوله تعالى في بعض كلامه « انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه » وقوله « انا جليس من ذكرني » الحديث فمن كان الله معه وجلسه لا بد ان تجذبه تلك المعية والمجالسة فتكسبه حضورا واطمئنانا لقلبه وغيبة عما سوى مطلوبه . وما دام الانسان في حضور . وغيبة عما سوى المذكور . كان الى الملا الاعلى اقرب فتسعى اليه الملائكة لتصافحه تبركا به فتتزل عليه ما كان مستقيما مع ربه وتوحيدة وخالص عمله يشهد لهذا قوله تعالى « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة » والمعنى ان الذين وحدوا الله تبارك وتعالى وداموا على استقامتهم اي على اخلاصهم في العمل بان لم يخطر على ضميرهم إلا الله فكانوا حاضرين معه تتنزل عليهم الملائكة لتبشرهم بهاته البشارات التي هي عدم خوفهم وعدم حزنهم وتبشيرهم بالجنة وتبشيرهم بانهم يكونون اولياؤهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة . وتفسيرنا الاستقامة بالاخلاص هو ما ذهب اليه سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه كما حكاه

الحازن في تفسيره ونصه . وقال عثمان رضي الله تعالى عنه استقاموا اخلصوا في العمل .
وتنزل الملائكة على المستقيمين في الحياة الدنيا حكاه الشيخ سليمان الجمل في حاشيته
على تفسير الجلالين ناقلا له عن البيضاوي ونصه عاطفا له عما حكى من الاقوال
او في حياتهم فيما يعرض لهم من الاحوال تاتيهم بما يشرح صدورهم ويدفع
عنهم الخوف والحزن . قلت يؤيد تنزل الملائكة على المستقيمين في الحياة الدنيا قوله
تعالى بعد ذلك « نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا » فان قول الملائكة في الاخرة او
عند الموت « نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا » لا تظهر عليه فائدة التبشير . وتخصيص
النبي صلى الله عليه وسلم مصافحة الملائكة بهذين الحالتين اعني الفرش والطرق
لانهما غالب احوال الانسان فذكرهما للاحاطة والتعميم اي تصافحكم في جميع
احوالكم والله اعلم . وقوله صلى الله عليه وسلم « ولكن يا حضلة ساعة وساعة »
مداوات وعلاج منه صلى الله عليه وسلم لشكاية حضلة رضي الله عنه اراد به تسليته
اولا عما يصيبه من الغفلة واستلغاته ثانيا للحضور مع الله فكانه يقول له ان ما ترجوه
انت من الحضور لا يدوم بل ساعة في حضور وساعة في غيبة وعليك ان لا تتأسف
وتتحنن تأسفا يوجب لك الغفلة عن الله فيما اقامك فيه واعلم ان القلوب بيد الله
يقلبها كيف شاء فيهديها للحضور والاستقامة اذا شاء ويضلها عن سواء السبيل اذا شاء
فهو يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقوله « ثلاث مرات » من كلام حضلة رضي الله
عنه اي ان النبي صلى الله عليه وسلم كرر هاته الجملة ثلاث مرات وهكذا شأنه صلى
عليه وسلم في مواعظه وتذكيراته كثيرا ما يكررها ثلاثا لتحفظ عنه وهو اتفق
تذكير للسامع وذلك من حرصه صلى الله عليه على امته ورحمته بهم وقد من الله علينا
بذلك فقال « حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » فاذا اراد الله الهداية انشرت
مذاكرته صلى الله عليه وسلم ونفع دواؤه وشفيت القلوب من ادوائها فقد بلغت المنى
والاقتسام لله فيما يشاء اولى والحضور مع الفاعل المختار جل جلاله اعلى لذلك
قال تعالى للمرشد الاعظم في ختام هاته السورة « فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا
هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » في الخامس عشر من ذي القعدة سنة
١٣٤٣ كنهه العبد الضعيف محمد المداني العلاوي القيصي المديوني غفر الله له ولوالديه
ولمشائخه ولجميع المسلمين اامين